

الأردن - عمان - جامع التقوى - دروس صباحية - الدرس: ٠١١ - حقيقة الابتلاء
(مرض كورونا)

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ : ٢٤-٠٦-٢٠٢٢م

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق
الوعد الأمين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما
علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن
يستمعون القول، فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

مفهوم الإرادة الإلهية :

أيها الإخوة الكرام؛ مقولة توحيدية نحتاجها دائماً. كل شيء وقع إرادته الله. إرادته الله لا
تعني أنه رضى به، ولا تعني أنه أمر به، ولكن سمح به. كل شيء وقع إرادته الله، معكوسة، وكل شيء
إرادته الله وقع. والإرادة الإلهية متعلقة بالحكمة المطلقة، فالذي وقع لو لم يقع لكان الله ملوماً، والذي
وقع لو لم يقع لكان نقصاً في حكمة الله. فكل شيء وقع إرادته الله لم يأمر به، ولم يرضه، ولكن
سمح به، وكل شيء إرادته الله وقع، معكوسة.

والإرادة الإلهية متعلقة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق.

هذه المقولة تفسر كل ما يجري في الأرض.

الإنسان إذا فهم على الله حكمته رضى.

الإيجابيات والسلبيات :

فلذلك يوجد بحياتنا إيجابيات، يعني زواج ناجح نعمة كبيرة، دخل معقول، مكانة اجتماعية، لا يوجد أمراض وبيلة، لا يوجد خثرة بالدماع، لا يوجد فشل كلوي، لا يوجد تشمع كبد، هذه أشياء دقيقة جداً، فالإنسان إذا كان في هذه النعم، ينبغي أن يشكر الله عليها، لكن يوجد في الحياة سلبيات. الإيجابيات زواج ناجح، عمل معقول، دخل يكفي، مكانة اجتماعية، صحة معقولة.

كيف نفهم المصائب؟

لكن كيف نفهم المصائب؟ لابد من فهمها فهماً أصولياً، ربانياً، قرآنياً، نبوياً، كل شيء وقع وأراده الله يعني سمح به، لا نفهم أنه أمر به، ولا نفهم أنه رضيه، سمح به. كل شيء أراد الله وقع، معكوسة.

الإرادة الإلهية متعلقة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق.

شر مطلق بالكون لا يوجد؛ لأنه يتناقض مع وجود الله.

ما الفرق بين التعاكس والتناقض؟ قد نجمع على هذا الحائط لون أبيض والمكبر لونه أسود، يجتمع الأبيض والأسود، هذان لوان متعاكسان، أمّا الشيطان المتناقضان الضوء والظلام، إذا وُجد الظلام لا يوجد ضوء، وإذا وُجد ضوء لا يوجد ظلام، فلذلك هناك أشياء من المسلمّات، أنها لا تكون إلا لحكمة بالغة.

كل شيء وقع وأراده الله، كل شيء أراد الله وقع، معكوسة، الإرادة الإلهية متعلقة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق، شر مطلق في الكون لا يوجد؛ لأنه يتناقض مع وجود الله، لا يتعاكس يتناقض مع وجود الله، إذاً ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد.

فحوى دعوة الأنبياء جميعاً.

الآن، هل يمكن بآية واحدة أن تجمع فحوى مضامين دعوة الأنبياء جميعاً، الذين ذُكروا والذين لم يُذكروا؟ نعم.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)

سورة الأنبياء

يعني فحوى دعوة الأنبياء جميعاً، فحوى، مضمون من آدم إلى يوم القيامة كلمتان (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) فحوى دعوة الأنبياء جميعاً، الذين ذُكروا والذين لم يذكرُوا ، فحوى دعوة الأنبياء جميعاً (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ).

(لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا) التوحيد، نهاية العلم التوحيدُ. (فَاعْبُدُونِ) نهاية العمل العبادة، نهاية العلم التوحيد، نهاية العمل العبادة، والعبادة: طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية. تعريف جامع مانع قاطع للعبادة.

طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية.

حقيقة الابتلاء (مرض كورونا).

الآن، ندخل في التفاصيل. أتحدث عن مرض وبيل أصاب العالم كله، ثم يبدو أنه انحسر. والأخبار قبل أسبوع رجع (الكورونا) يبدو أنه انحسر، وهناك الآن أخبار جديدة موثوقة أنه عاد، فلذلك موضوعنا اليوم عن هذا الوباء (الكورونا). نعم، لا تلعنوا الكورونا، فلقد أعاد الله هذا الوباء الفتاك إلى إنسانية الأمة، إلى آدميتها، إلى خالقها، إلى أخلاقها. في ألمانيا فتحت الكنائس للمسلمين شيء جديد. لا تلعنوها، فقد أعاد الله بهذا الوباء البشرية كلها إلى إنسانيتها، إلى آدميتها، إلى خالقها، إلى أخلاقها. ويكفيه فخراً أنه أغلق جميع البارات، والملاهي، ونوادي المجون والرقص، والشذوذ والقمار، ودور الدعارة والذم، وشواطئ العري حول العالم. بل وخفض نسبة الفوائد الربوية. يكفيه فخراً أنه جمع الأسر ثانية في بيوتها بعد طول تفرق وفراق. يكفيه فخراً أنه أوقف القبل والتقبيل بين الجنسين، والجنس الواحد. يكفيه فخراً أنه دفع منظمة الصحة العالمية إلى الاعتراف بأن تناول الخمر كارثة، وعلى من لم يعاقرها يوماً ألا يفعل هذا أبداً. يكفيه فخراً أنه دفع جميع المؤسسات الصحية الكبرى إلى الإقرار بأن تناول كل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير، علاوة على شرب الدم وبيعه، وأكل الحيوانات المريضة والميتة، والاتجار بها مصيبة من المصائب الكبيرة. وبلاء على كل من يفعل ذلك ولاسيما في الصين. يكفيه فخراً أنه علم البشرية كيف تعطس، وكيف تسعل، وكيف تتنأب كما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم قبل ألف وأربعمئة عام. يكفيه فخراً أنه حوّل ثلث الإنفاق العسكري حول العالم إلى المجالات الصحية بدلاً من العسكرية. يكفيه فخراً أنه

دفع وزارات ومديريات الصحة العربية إلى حظر تدخين النرجيلة، وإغلاق الملاهي والحانات. هذا كله كلام علمي دقيق جداً. يكفيه فخراً أنه حدّ من الاختلاط المذموم بين الجنسين. يكفيه فخراً أنه أذاق وزراء ورؤساء دول كبرى، وعرفها معنى الحجر والحجز وتقييد الحرية. يكفيه فخراً أنه دفع الناس إلى الدعاء والتضرع والاستغفار، وترك المعاصي والآثام والمنكرات. يكفيه فخراً أنه أذل المتجبرين، وأظهرهم بمظهر المتسول الوضيع. يكفيه فخراً أنه قلل إلى أدنى مستوى معروف من سموم المصانع التي لوثت أجواء الأرض، وقتلت غاباتها، ولوثت بحارها ومحيطاتها، وأذابت جليد قطبيها، وغيرت مناخها، ووسعت ثقب الأوزون في سمائها، وأماتت الأحياء حول الكرة الأرضية وأصابها بمقتل. يكفيه فخراً أنه أعاد البشرية إلى عبادة الله بدلاً من عبادة التكنولوجيا التي صارت لمعظم البشرية رباً من دون الأرباب. يكفيه فخراً أنه أرغم كبار المسؤولين في دولهم على إعادة النظر بأحوال السجون وأوضاع السجناء والمعتقلين، وأهمية تغييرها وتعقيمها وربما إطلاق سراح السجناء بضمانات معينة. يكفيه فخراً أنه دفع قيادات كبرى في بلدانها إلى تقليل اجتماعاتها ومؤتمراتها وتجمعاتها وأكاديبها، وجعلت الاجتماعات أون لاين كما يقولون (لا وجاهية) يكفيه فخراً أنه حدّ من مظاهر الشرك بالله، وبدع الاستعانة بخلقه، وضلالات التبرك بمخلوقاته من دونه سبحانه وتعالى، وصار الكل يجأر بالدعاء إليه متذللاً له وحده من دون شريك بين يديه.

إن ما تعيشه البشرية حالياً يشبه أجواء الحرب العالمية الأولى، وانتشار الأنفلونزا الإسبانية حين طغى الإنسان وتجبر، وظن نفسه أنه خرق الأرض، وبلغ الجبال طولاً، فكان لزاماً أن يُؤدب وبحضرة خالق الكون أن يتأدب. اليوم فقط أدركت علمياً كيف يمكن للبلاء الرباني، وبأضعف جندي من جنوده أن يكون خيراً للبشرية. أكبر حاملة طائرات في العالم فيها سلاح نووي، فيها خمسة آلاف عنصر. عنصر مقاتل. يستتجد قائدها برئيس بلده أمريكا، ويقول: أنجدنا، فالجنود يموتون تبعاً وسط البحر، فلا تلعنوا كورونا؛ لأن البشرية بعدها لن تكون كما كانت قبلها.

يعني يوجد شاعر سوري مقيم بالكويت أصابته الكورونا، فقال هذا الشعر:

ألا هُبي بكمّامٍ يقينا رذاذَ العاطسينَ وعَقْمينا
فنحن اليومَ في قفصٍ كبيرٍ وكورونا يبيثُ الرعبَ فينا

إذا ما قد عطسنا دون قصدٍ	تلاحقنا العيونُ وتزدرينا
وإن سعلَ الزميلُ ولو مُزاحاً	تفرقنا شمالاً أو يميناً
وباءٌ حاصرَ الدنيا جميعاً	وفيروسٌ أذلَّ العالمينا
تغلغلَ في دماءِ الناسِ سرّاً	فباتوا يائسين وعاجزيناً
يقاتلهم بلا سيفٍ ورمحٍ	ويتركهم ضحايا ميتينا
أيا كوفيدٍ لا تعجل علينا	وأمهلنا نخبرك اليقينا
بأنا الخائفون إذا مرضنا	وأنا الجازعون إذا ابتلينا
وأنا المبلسون إذا افتقرنا	وأنا الجاحدون إذا غنينا
وأنا الباخلون إذا ملكنا	وأنا الغادرون بمن يلينا
وأنا قد ظلمنا وافترينا	وشوهنا وجوه الصالحينا
وأنا قد هجرنا كل حقٍ	وصافحنا أكف المجرميناً
وأنا ما شكرنا الله حقاً	على نعمٍ أتتنا مُصبحينا
وهذي صفةٌ أولى لنصحو	ونخرجَ من حياة الغافلينا
وإلا فالمصائبُ مطبقاتٌ	ونرجو الله دوماً أن يقينا

لماذا سميت المصيبة مصيبة؟.

يعني مرة ثانية يوجد بالحياة مصائب، ويبدو أنها سميت مصائب؛ لأنها تصيب الهدف. أعرف شخصاً يعني من فمه إلى أذني أراد يدفع زكاة ماله، تقريباً عشرة آلاف، زوجته ضغطت عليه حتى ألغى دفع الزكاة، وطلّى البيت. قال لي: بعد أيام عملنا حادث.

أغرب شيء أن الفاتورة لإصلاح السيارة تساوي عشرة آلاف ليرة تماماً، فدائماً البطولة أن نفهم على الله. الله غني عن تعذيبنا كلياً. فكل مصيبة سميت مصيبة؛ لأنها تصيب الهدف. يعني للتقريب، لو أن طفلاً بالسنة الثامنة قال لأبيه هذه الكلمة: لا أريد أن أدرس. قال له: كما تريد يا بني. هذا استيقظ الساعة العاشرة أكل لوحده، راح للحارة، لعب مع الأولاد، وجد نفسه أريح أسعد من كل الطلاب. عندما كبر، لا يوجد شغل، ولا عيادة، ولا مكتب حمامة، ولا مهندس، ولا بيت، ولا زوجة، ولا سيارة، فحقد على أبيه، قال له: يا أبتى، عندما طلبت منك ألا أدرس لم أأدرس لم تصفني؟ لم تصفني؟ اسمعوا القرآن الآن:

وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)

سورة القصص

(رسولاً) يعني مصيبة.

وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزَلَ وَنُخْرِجَ (١٣٤)

سورة طه

أنا أقول كلمة الذي وصل إلى الدار الآخرة كما قال الله عز و جل:

دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَعَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠)

سورة يونس

آخر دعواهم. فالبطولة أن نفهم على الله. قال لي مرة واحداً، والله كلمة دقيقة قليلاً. قال لي: أنا جمعت ثروة طائلة، وضعت بجيبي خمسمئة ألف، مبلغ كبير بالعملة السورية، وتوجهت إلى بلد بعيد، والفهم كافي. هناك أراد أن يعصي الله، شعر بألم بعموده الفقري، سأل طبيباً، قال له: والله يوجد ورم خبيث في العمود الفقري. عاد إلى الشام من جامع لجامع، من درس لدرس، ثم تبين أنه كان تشخيصاً خاطئاً. أنا لي كلمة باللغة الدارجة - يا بتجيه ركض يا بيجبيك ركض - فبطولتك أن تأتيه راكضاً أنت لوحده، باختيارك. الله رحيم؛ و ودود، و خلقنا لجنة عرضها السموات و الأرض، فيها:

يقول الله تعالى : أعددتُ لعبادي الصالحينَ ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر

على قلب بشرٍ

صحيح البخاري

فالبطولة أن نفهم على الله عز وجل حكمته، حقيقة أن نفهم على الله شيء رائع جداً، لكن يعني للتقريب، أنت ذاهب إلى مكان بعيد، وعندك مركبة، هذه المركبة تألق بها ضوء أحمر في لوحة البيانات، إن فهمت هذا التألق تألقاً تزينياً احترق المحرك. تريد مئة ألف، وإن فهمته فهماً تحذيرياً، أوقفت المركبة أضفت نصف لتر زيت، فأنت بطولتك وذكاؤك ونجاحك وتوفيقك وتفوقك أن تتبع تعليمات الصانع؛ لأن الجهة الصانعة هي الجهة الوحيدة التي ينبغي أن تُتبع تعليماتها، الجهة الوحيدة. انطلاقاً من حرصك على ذاتك.

الخلاصة.

لذلك الهرم البشري كم مليار؟ ثماني مليارات الآن بالضبط، على رأس هذا الهرم البشري، زمرتان: الأقوياء، والأنبياء. الأقوياء ملكوا الرقاب، والأنبياء ملكوا القلوب. الأقوياء أخذوا ولم يعطوا، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا. الأقوياء عاشوا الناس لهم، والأنبياء عاشوا للناس. والأقوياء يُمدحون في حضرتهم، والأنبياء في غيبتهم. فالله عز وجل يريد أن يسعدنا في الدنيا والآخرة. فالبطولة دقق الآن، البطولة أن تعرف الحقيقة قبل فوات الأوان، أنت تملك مليون خيار رفض، هذا البيت لم يعجبك، موقعه بعيد، والمساحة ضيقة، وثمانه غالٍ، والفتاة خطبتها لم تعجبك أخلاقها، تركتها، والحرفة دخلها قليل، تملك مليون خيار رفض، لكن لا تملك مع الإيمان إلا خيار وقت. دقق. خيار وقت، لماذا؟ لأنه أكفر كفار الأرض فرعون حينما أدركه الغرق قال: آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل، فقال الله عز وجل :

ءَالَّنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١)

سورة يونس

فالإيمان حاصل، لكن بعد فوات الأوان. والبطولة أن تعرف الحقيقة قبل فوات الأوان. يعني واحد ما درس إطلاقاً دخل للفحص. قدم ورقة بيضاء فنال صفراً بجدارة، عاد إلى البيت، قرأ الموضوع فهمه، عاد إلى مركز الفحص، قال: لا، انتهى الأمر.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلْ انْتَظِرُوا إِنَّا

مُنْتَظِرُونَ (١٥٨)

سورة الأنعام

فلذلك النقطة الدقيقة لا تحب أحداً أحب نفسك، أحب سلامتك، وسعادتك ، واستمرارك، سلامتك بالاستقامة، طابعها سلبي ما أكلت مال حرام، واضح، ما كذبت، ما غششت، ما فتنت إنسان، تمام، والعمل الصالح إيجابي، أنفقت من مالي، من علمي، من ثقافتني، من حكمتني، من وقتي، الإنفاق، الذي يحب السلامة و السعادة و الاستمرار، بتربية أولادك ، يوجد مقولة قلتها قريب ألف مرة من عشرين سنة، كنت مرة بأمريكا، وكان كلينتون رئيس للدولة: لو بلغت منصباً ككلينتون، هكذا قلت لهم، و ثروة كأوناسيس، كان أغنى واحد، وعلماً كأينشتاين، و لم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس، أنت أشقى الناس، فلذلك البطولة أن تحقق السلامة و السعادة و الاستمرار، السلامة بالاستقامة، والسعادة بالإقبال على الله، يعني:

فلو شاهدت عيناك من حسنا	الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا
و لو سمعت أذناك حسن خطابنا	خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا
ولو ذقت من طعم المحبة ذرة	عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنا
ولو نسمت من قربنا لك نسمة	لمت غريباً واشتياًقاً لقربنا
ولو لاح من أنوارنا لك لائح	تركت جميع الكائنات لأجلنا
فما حبنا سهلاً وكل من ادعى	سهولته قلنا له قد جهلنا
فأيسر ما في الحب للصب قتله	وأصعب من قتل الفتى يوم هجرنا

آخر شيء، إخواننا الكرام؛ الله عز وجل أمرنا بالعبادة، والعبادة بتعريفاتها الدقيقة: طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تقضي إلى سعادة أبدية. لكن يوجد مواسم، رمضان موسم، والعشر الأخير من ذي الحجة موسم، يعني بهذه الأيام نضاعف أعمالنا الصالحة، نضاعف قراءة القرآن، نضاعف حضور مجالس العلم، بالعشر الأواخر ينبغي أن يكون لنا عبادة استثنائية، فيها استثناء. فأرجو الله أن يحفظ إيمانكم جميعاً، وأهلكم وأولادكم، ومن يلوذ بكم، وصحتكم، ومالككم، واستقرار بلادكم، هذه نعمة لا تُعرف إلا إذا فُقدت. النقطة الدقيقة جداً، لا يخافن

العبد إلا ربه، لا يخافن العبد إلا ذنبه، ولا يرجون إلا ربه، والإنسان إذا اصطاح مع الله، ولا يقول:
ليس على وجه الأرض أحد أسعد مني، أنا مسؤول عن كلامي. والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام سيدنا محمد الصادق
الوعد الأمين. اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تُهنا، آثرنا ولا تُؤثر علينا. أرضنا وارض عنا، و
صلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي و على آله و صحبه و سلم، و الحمد لله رب العالمين.
الفاتحة.